لطالما ارتحل إلى القارات الخمس ، يهبط ربوعها ضيفاً كريماً وسائحاً فطناً يجوس خلال مختلف البقاع ، تكتحل عيناه بالثلوج تعمم نواصي الجبال ، وتستمتع نفسه بجمال السهول عليها مروجها الخضر ، وقد ازدانت بجداول يترقرق فيها الماء كأنه اللجين المذاب .

كان الرجل يحيي أماسيه فى مرقبته العالية يدبر كلفة السفر ، ومعدات الرحيل ، ولا يفتأ فى شتى مراحل حياته يعمل على تنمية رصيده بجديد من الادخار ، فتقفز الأرقام من سنة إلى سنة قفزات السلحفاة ، حتى ربت وترعرعت تأذن لصاحبها أن يبدأ المطاف .

تتابعت تلك الذكريات كأنها البروق الخواطف تلتمع فى مخيلة « سرور أفندى عزب » عندما دلف يتخطر مزهو الأعطاف يشق الشارع العريض فى طريق أوبته من شركة البواخر ، بعد أن ظفر بتذكرة الخلاص ، واستأصل من نفسه أوجاع الحرمان .

وفزعت يده إلى جيب حلته يتلمس الوديعة ، ليتأكد له أنها تحتل مكانها الأمين من حرزها المكين ، وتمسحت بتذكرة السفر أنامله ، فافتر ثغره عن ابتسامة متوردة ، وانساب على شفتيه صفير يتمشى فيه حنين ، ثم اعتدل يزرّ غطاء جيبه مبالغاً فى التوثيق والإحكام .